2022

بسم الله الرحمن الرحيم

ابوالحسن الحنّاوى

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـة

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه

أحييكم أيها الأحبة في الله .. ومرحبا بكم في لقاءٍ متجددٍ على مائدة العلم لننهلَ من شُعاعِ أنواره ، ونتزّود شيئاً من دُرَرِ أسراره ، ونرشف من لذيذِ لطائفه ، فنرتفع شيئاً ونسمو بأرواحنا وأنفسنا كما أخبرنا ربنا ﷻ حيث قال: ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ . المجادلة.

لا يخفى على أحد أنَّ موضوع تفضيل الذكور على الإناث موضوع قديم ـ حديث ، وشغلٌ شاغلٌ للكثير من الناس من الذكور والإناث على السواء.

وللأسف بعضهم يتحمَّس لرأيه ويجادل بجهالة تامة دون قراءة أو علم ، وآخرين منهم ، من يُحاول لىَّ عنق الآيات ويُجهد نفسه بالإتيان بالبراهين الواهية التي لا تنهض للإنتصار لرأيه ، وأيضا هناك من على درايةٍ بالأمر فيأتي الموضوع من بابه ويُحسن في عرض المسائل ويبرهن عن علم وبالأدلة على رجاحة ما يريد طرحه وذلك هو المطلوب.

لذا ولكي نُنصف في عرض المسألة .. اقتبسنا من هنا وهناك وأوردنا وجهات نظر الجميع ، ما يجعل الصورة واضحة دون لبس ، والحكم النهائي لحضراتكم ، كلٌ يُرجّح ما يطمئن إليه وحسب قناعاته التي خرج منها في سياق الموضوع.

قال المولى عزوجل في كتابه العزيز : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾. آل عمران ٣٢ ، وما ورد في التفاسير ما يأتي:

ـ تفسير السعدى .. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾. يعني كأنها تَشَوّفَت أنْ يكون ذكراً ليكونَ أقدر على الخدمة وأعظم مكانة، ففي كلامها (نوعُ) عذرٍ من ربها ، فقال الله ﷻ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾. أي: لا يحتاجُ إلى إعلامها ، بل علمُه مُتعلقٌ بها قبل أن تعلم أمها ما هي.

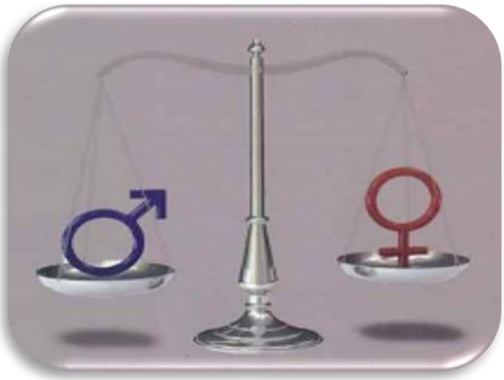

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾. فيه دلالةٌ على:

- تفضيلِ الذَّكر على الأنثى
- وعلى التَّسميةِ وقتَ الولادةِ
- وعلى أن للأمِّ تسمية الولد إذا لم يكره الأب.

ـ تفسير البغوى .. ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾. أي ولدتها إذا هي جارية ، قالت (حَنّة أم مريم) وكانت ترجو أن يكون غلاماً: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ﴾ اعتذاراً إلى الله عزوجل.

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ في خدمة الكنيسة والعُبَّادِ الذين فيها ، وذلك لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس.

ـ تفسير ابن كثير .. ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ أي : في القوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى.

ـ قول إبن عباس : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ ، إنما قالت هذا لأنَّه لم يكن يُقبلُ في النَّذرِ إلا الذُّكور ، فقبل اللهُ مريم عليها وابنها السلام.

قاعدة بيانية

للدكتور/ فاضل السامرائي .. أستاذ النحو والتعبير القرآني.

❖ يقول د.السمرائي في قولِه تعالى: "وليسَ الذكرُ كالأنثى" والذي يفهمُه غالبُ الناسِ على أنه تفضيلٌ للذكرِ على الأنثى، أن هذه الجُملة جملةً اعتراضيةً من كلامِ الله ﷻ ، فامرأة عمران قالت عندما ولدت أنثى عكس ماكانت ترجوه وتتشوَّفُ اليه : " رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ "

فقال الله: " وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ" أي:

" وليسَ الذَّكرُ الذي أردتِ كالأنثى التي رُزقتِ".

ـ فتكونُ الجملةُ لمدحِ هذه الأنثى وتفضيلِها لا لتفضيلِ الذكرِ عليها.

➢ قاعدة لغوية في البلاغة

وذلك فهمٌ تُقويه قاعدة بلاغية مفادُها أن:" المُشبَّه أدنى من المُشبَّه به " وكاف التشبيه هنا لحقت بالأنثى فهي المُشبَّه به وهي الأعلى.

❖ وهنا لمحةٌ لطيفةٌ تنهي جدلًا لانهائيًّا حول المُفاضلة هنا خصوصًا :

امرأةُ عمران أرادتْ ذكرًا لأنها نذرتْ مافي بطنِها لخدمةِ بيت المقدس ، ولم يكن يخدمُه في زمنها إلا ذكر، فلما وضعت أنثى قالت ماقالت.

لكن ماحدث أن الأنثى التي وضعتْها كانت أفضلَ مما لو أنها وضعت ذكرًا .. لأن الذكر كان سيخدمُ بيت المقدسِ فقط ..

- أما السيدةُ مريم فقد خدمت عقيدةً
- وجعلها اللهُ وابنها آية للعالمين

" فكانت أفضل من الذكر للوظيفة التي أُرادها الله لها."

انتهى كلام .. د.السمرَّائي

إبطال القاعدة البيانية السابقة

قالت إحداهن: الأنثى أعلى رتبةً من الذكر، ومُفضلة عليه ، وهذا ثابتٌ في القرآن الكريم .. ودلّلت على ذلك بمثل ما قاله دكتور السامرّائى.

قال : غيرُ صحيح ، اللغةُ والسياقُ كِلاهما يدُلُّ على أن الذكرَ مُفضّل.

قالت: إن البلاغة تستوجب أن يكون المشبه به أعظم من المشبه !

قال : لكن هناك نفي سابق على التشبيه ، والنفي هنا نفي أفضلية المُشبَّه به وجعل الأفضلية للمشبه .. كقولك لمن يجادل:

" ليس العالم كالجاهل في منفعة الناس" .. فهل يمكن أن يُقال هنا إن المشبه به [الجاهل] أعظم في المنفعة من المشبه [العالم] بالطبع لا، وذلك لأن النَّفي والسّياق أبطلا القاعدة البلاغية هنا فجعلا الأفضلية للمشبَّه وليس للمشبَّه به ..

قالت: فكيف دلَّ السّياقُ في الآية على أنِّ الأفضلية للذكر؟

قال : إن حنَّة زوجة عمران كانت تتأمل وترجو أن تضع ذكراً؛ ليقوم على خدمة وسدانة بيت المقدس ، فلما وضعتها أنثى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ .. وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ بشيء من الحسرة، ولم تكن تعلم أن الأنثى التي وضعتها خير وأكرم من أُمة من الرجال ، ودلَّ على ذلك الجملة الاعتراضية الجميلة العظيمة التي ذكرها وقالها الله عزوجل في سياق كلام زوجة عمران: " والله أعلم بما وضعت "

فالجملة: تدل على عِظم ورِفعة ما وضعت ، والتي هي مريم عليها السلام.

فسألت أخرى : لو تفضلت وأفدتنا عن وجه الشبَّه المنفي في الآية الكريمة.

فأجابها: إن النَّفي ليس لوجه الشبه ، إنما النفي لأفضلية المشبه به [الأنثى] على المشبه [الذكر] في الصفة المشتركة التي هي وجه الشبه ..

- حيث إنَّ التشبيه هو: عَقدُ مُشابهةٍ بين شيئين اشتركا في صفةٍ زادت في أحدهما على الآخر.

ذلك أن الأصل في التشبيه أن تكون الصفة في المشبه به أقوى منها في المشبه أو على الأقل مساوية .. مثل قولنا: العالم كالبحر سعةً.

أو قولنا إن كان المشبه به مساوياً: عمر مثل أحمد في العمر.

وتقدير الكلام في الآية:

" ليس الذكر كالأنثى في القدرة على خدمة بيت المقدس"

فلو حذفنا النفي من التقدير صار الكلام : الذكر كالأنثى في القدرة على خدمة بيت المقدس.

وهذا المعنى مناقض للحقيقة والواقع فجاء النفي لتحقيق المطابقة للواقع.

- والمقصود بالأنثى في الآية ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ عموم الجنس، وليست مريم عليها السلام فإنها تفضل أمماً من الرّجال.
- إن التفاضل بين المرأة والرجل قائم في شتى النواحي، تزيد المرأة وتفضل الرجل في بعضها ، ويزيدُ الرّجل ويفضُلُ في بعضٍ آخر، وفي التفاضل والتفاوت فيما بين الرجل والمرأة حكمة بالغة أرادها الخلاق العليم حتى إذا ما اجتمعا زوجين تكاملا.

أما ميزان التفاضل عند الله فإنه التقوى

لا تنفعُ معها الذَّكر ذكـورته

ولا تبخس فيها المرأة أنوثتها

إنَّما التفاضُل حينها (يوم القيامة) بسلامة القلب ، والتُّقى ، والعمل الذي سلف ، وليس التفاضل بالذكورة أو الأنوثة أوغيرهما ، ولعل أنوثة المرأة ترجح كفّتها برحمة الله لضعفها ، ولتهنأ الأنثى بأنوثتها؛ إذ قد يشفع لها ضعفها وقت لا ينفع الذكر ذكورته وفحولته.

خلاصــة القــول .. لامحلَّ للمفاضلة عمومًا ..

فالذكرُ أفضلُ من الأنثى فيما خُلقَ له
وهي أفضلُ منه فيما خُلقت له.

- ❖ فليست الأنثى أفضل منه في احتمال مشاقِّ الشغل خارج البيت واستمرار الكدّ والسعي على الرّزق وأعمال البناء والقتال ... إلخ
- ❖ وليس الذكرُ أفضل منها في احتمال تعب الحملِ و سهر التربية وتفاصيل العناية بالأطفال ... فكلٌّ أفضلُ من ناحيةٍ يتميز بها.

لطــيفة

قال رسول الله ﷺ :» ما من مولود يُولدُ إلا نَخسه الشيطانُ فيستهلُّ صارخاً من نَخسةِ الشيطان إلا ابن مريم وأمه « قال علماؤنا : فأفاد هذا أنَّ الله تعالى استجاب دعاءَ أم مريم ، فإنَّ الشيطان يَنْخَسُ جميعَ ولدِ آدمَ حتى الأنبياء والأولياء إلا مريمَ وابنَها، ولا يلزم منْ هذا أنَّ نخسَ الشيطانِ يَلزم منه إضلال الممسوس وإغواؤه ، فكم تعرض الشيطان للأنبياء والأولياء بأنواع الإفساد والإغواء ومع ذلك فعصمهم الله مما يرومه الشيطان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

اخوكم في الله / أبوالحسن الحناوى

فيينا في 18 من فبراير 2022